

مستقبل العلاقات بين الدين والمتدينين

تشق المذاهب المادية طريقها فى الحياة بقوة، حتى ليظن بعض المتشائمين أن الأديان فى معركة انسحاب! فإن جماهير كثيفة من البشر قطعت صلتها بالسما، أو جمدت هذه الصلة فى إطار يجعلها أقرب إلى الموت منها إلى الحياة..

ولست مع أولئك المتشائمين فى الفرع من المستقبل، ولكن الأمور إذا بقيت تسير فى مجراها المشاهد، فإن الظلام المادى سيطبق على كل شئ، ويزحف على كل أفق.

وسيكون المتدينون أنفسهم - على اختلاف معتقداتهم السماوية - هم السبب فى ضياع الإيمان وفشل قضاياه !!

إن المذاهب المادية تستغل أخطاء خصومها، وتنفذ إلى غايتها من الفجوات الكبيرة فى أفكارهم ومسالكهم.

ولا يرجع شيوع الإلحاد والانحراف إلى ما فيهما من نفع عاجل، بل إلى أن المتدينين لم يحسنوا حل ما فى الحياة من مشكلات!

وليتهم قنعوا بهذا القصور، لقد زاد الطين بلة أنهم جعلوا من علاقة بعضهم ببعض الآخر مشكلات قاسية دامية!

فكيف يفلحون مع هذه النقائص الغريبة؟

وبين يدي العالم كله الآن مشكلة «إسرائيل» فهى دولة قامت على أساس دينى يستهدف جمع يهود العالم أجمع فى بقعة من الأرض ليست مجهلا من المجاهل ولا قفرا من القفار، ولكنها بقعة عامرة بأهلها الأصلاء الذين اطمأنوا بها، واستقروا فيها من دهور.

ومع ذلك فإن الضمير الدينى لدى «الصهيونيين» استباح لنفسه تشريد هؤلاء، وتدمير حاضرهم ومستقبلهم.

والضمير الدينى لدى «الاستعماريين» من أوروبيين وأمريكيين حالف زميله على غيه، وعاونه على ارتكاب جريمته، وأمدته بالسلاح ليفتك وبالمال ليقوى ويضرى!

فهل هذا التدين الأعوج أهل للحياة والبقاء؟
أو ليس هذا العوج عذرا للماديين كى يسيئوا الظن بالدين كله، ويحاولوا
اقتلعه من جذوره؟

إننى أدين بالاسلام، وأثق ثقة مطلقة فى وجود الله، وصلاحية وحيه لهداية
الخلق، وقيادتهم الى الخير والرشد .

وأرمق الصراع القديم بين شتى الشرائع السماوية، فأشعر بالأسى والألم
وأود لو تاحت فرص فى الحاضر أو المستقبل لتعاون مثمر بين أهل الكتاب كلهم،
ترقى به الإنسانية، وتقف فى وجه المادية العمياء والعدوان العشوم .

وبديهي أنه لن يقوم هذا التعاون إلا بعد استخفاء الأحقاد، وتلاشى نيات
السوء، وانتهاء الرغبات المجنونة فى القضاء علينا وعلى ديننا وانقضاء هذه الجراءة
المستهجنة على حقوقنا الطبيعية فى الحياة والاستقرار .

أما مع اتفاق مجموعة قليلة أو كثيرة من الدول الصغرى والكبرى على
إماتة فلسطين وإحياء إسرائيل فهيهات أن يكون ذلك دلاله على خير، أو أمانة
على سلام، فإن المشاعر الكامنة وراء هذا الاتفاق لا تخفى علينا، والضعفان
التاريخية المتنفسة خلفه نذير شر مستطير .

إن انتشار المادية فى الأخلاق والثقافات يرجع - كما أومأت - إلى سلوك
المتدينين أكثر مما يرجع الى ترحيب الخاصة والعامة بالكفر والإباحة والتحلل .

وإن أتباع موسى وعيسى ومحمد يستطيعون كتابة صفحة جديدة مضيئة
فى تاريخ العالم، لكن المداد الذى تكتب به هذه الصفحة لا يجوز أبدا أن يكون
من دماء المضطهدين وعبرات اللاجئيين!

أو بتعبير أصرح لا يجوز أن يكون من دماء المسلمين!
وإذا لم يفهم الآخرون هذه الحقيقة فإن الأديان سوف تستهلك نفسها فى
صراع داخلى مشئوم، وسوف يفتح الطريق واسعا فسيحا أمام منازع الإلحاد
والرذيلة والكفر بالله واليوم الآخر .

ذلك، ويخطئ كثير من الناس عندما يظن الأديان السماوية متباعدة
الأصول متنافرة الاتجاه، فإن الله بعث أنبياءه على مر الزمان بدين واحد .

والحقائق التى أراد تعليمها للناس فى مجالات التربية النفسية والتعارف

الاجتماعى متقاربة إن لم تكن متحدة، والمرسلون على اختلاف أهمهم
أخوة.

وهذه القرابة الروحية من حقها أن تجمع لا أن تفرق، وأن توظف مشاعر
التعاون والتعاطف لا مشاعر القطيعة والخصام.

وعند التأمل فى تعاليم الاسلام نجد عشرات الأدلة على صدق ما ذكرنا.
فالقرآن الكريم يؤكد أن الاسلام الذى جاء على لسان محمد ﷺ يتفق فى
أصوله وغاياته مع ما أوحى الله لأنبيائه الأقدمين.

قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾

[الشورى: ١٣]

ومعنى هذه الآية واضح، فان العقائد الأساسية فى كل الديانات التى بلغها
هؤلاء المرسلون واحدة.

والديانات الباقية الآن، والتى يتبعها جمهور كثير من الناس هى اليهودية
والمسيحية والاسلام.

وأتباع هذه الأديان الثلاثة يحترمون أبا الأنبياء إبراهيم، ويعتبرونه جذر
الشجرة التى تفرعت مع امتداد العصور، وأنبتت موسى وعيسى ومحمدا.
وكان ينبغى أن يتفق الكل على نشر التوحيد، وتعريف الأمم الجاهلة برب
العالمين ولكنهم للأسف لم يتفقوا.

والقرآن الكريم فى الآية السابقة يوصي المسلمين بأن يتعاونوا مع غيرهم
على نشر هداية السماء ﴿ .. أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ .. ﴾.

والواقع أنه مما يزرى بالضمير الدينى أن تنشأ العداوة بين المتدينين على
اختلاف مللهم، وأن تتسع بينهم هوة الخلاف مع أنه جدير بهم أن يتعاملوا فيما
بينهم بالود والعدل والرحمة.

والقرآن الكريم يذكر أن محمدا ﷺ جاء مؤكدا لما قبله لا ناقضا له، وليس
هذا فى أصول الايمان وحدها، بل فى مكارم الأخلاق، وفروع العبادات التى لا
ينضج التدين ويتم الكمال البشرى إلا بها.

خذ مثلاً هذه المجموعة من التعاليم التي وصى الله بها بني إسرائيل علي
ألسنة أنبيائهم الكثيرين . . ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: ٨٣].

إن هذه التعاليم كلها هي نفسها التي أمر الإسلام بها .

فعبادة الله وحده، والاحسان الى الوالدين والأقارب، ورعاية الأيتام وإعانة
المساكين، وإلانة القول لخلق الله كلهم . آداب لا يبد للمؤمن منها قال الله في كتابه :
﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾
[النساء: ٣٦]

والصفح عن المسيء، ومقابلة الشر بالخير، والقبيح بالجميل وهي تعاليم أبرز
ما تكون في خطبة عيسى عليه السلام وهو يعظ أتباعه في الموعدة النبيلة التي
جاء فيها . . « ومن لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر » .

إن هذه الروح المتسامية في سماحتها، المطهرة من دنس الحقد هي هي التي
جعلت نبي الإسلام يقول : « أمرت أن أصل من قطعني، وأن أعطي من حرمني،
وأن أعفو عمن ظلمني » .

والمفروض أن هذا اللون من السلوك العالى مقصود به تدريب الانسان على
فعل الخير ونشدان الكمال المطلق إشارا لما عند الله من مشوبة، وإحراز الرضاه
الأعلى دون نظر الى ما يستحقه المعتدى من قمع، أو ما تفرضه العدالة من
قصاص .

لكن عندما يستشرى الشر وتضيع الحقوق وترنح الأفراد والجماعات تحت
وطأة الظلم فلا بد من استعمال الشدة .

والمسيحية والإسلام في ذلك سواء . .

فعيسى صاحب الكلمات الرقيقة السابقة يقول : « ما جئت لأحمل سلاما
بل سيفاً » .

والقرآن الكريم يقول : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ * وَجَزَاءُ

سَيِّئَةٌ سَيِّئَةٌ مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنْ
 انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿ [الشورى: ٣٩ - ٤١] .
 أى لا حرج على أى مؤمن أن يقاوم المعتدى ويكسر شوكرته .
 والأديان الثلاثة توصى بحفظ العرض، وضبط العلاقات الجنسية فى حدود
 الأسرة التى توثقت بكلمة الله .
 والنهى عن الزنا أحد الوصايا العشر التى توصى بها العهد القديم
 والجديد .

والواقع أن الاسلام فى سبيل صيانة الأعراس والدماء والأموال أحميا الأحكام
 السماوية التى تناستها الأمم السابقة، بل إنه لام اليهود لأنهم يريدون الخروج على
 تعاليم التوراة، وكان ينبغى أن ينفذوا حكم الله فى هدوء مهما كان هذا الحكم
 صارما .
 قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ
 مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ [المائدة: ٤٣] .

والقصة وردت فى يهودى اعتدى على عرض امرأة، وكان لابد من رجمه
 حسب أحكام التوراة . . ولكن اليهود تجاهلوا حكم كتابهم فأمر نبي الاسلام
 باحترامه (١) .

وحديث القرآن الكريم عن التوراة والإنجيل يستدعي النظر والتنويه، فهو
 يقول عن التوراة: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ
 أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ... ﴾ [المائدة: ٤٤] .
 ويقول عن الإنجيل: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
 يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ... ﴾ [المائدة: ٤٦] .
 ثم يقول الله جل شأنه عن القرآن الكريم ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
 مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ... ﴾ [المائدة: ٤٨] .

(١) أغلب ما يباع بين المسلمين وأهل الكتاب الأولين أن هؤلاء لا يريدون تنفيذ ما جاء
 به موسى وعيسى على حين يتمسك المسلمون به .

ومعنى الهيمنة المذكورة أن القرآن نزل بعد التوراة بنحو ثلاثين قرنا، وهى فترة تطورت فيها البشرية تطورا يستدعى بعض التغيير فى الشرائع الفرعية التى تحكم العلاقات وتنظم الطوائف، وتسير سياسة الحكم والمال وفق قواعد لا تسمح بالفوضى والهوان والبأساء والضراء.

وذاك ما وسع الاسلام دائرة الكلام فيه، وأتى فيه بجديد، لا يناقض أصول الديانات السابقة بل يصون هذه الأصول أو لا يخذلها.

وليس من أصالة الراى أن يطلب من الإسلام الجمود مع تطور الانسانية فان اللباس الذى يصلح لصبي صغير لا يصلح مطلقا لرجل كبير. وعصرنا الحاضر يحتاج الى أن يسير حياته الاجتماعية:

أولا: على الإيمان بالله وحده، وهو ما تواصت به جميع الرسالات السماوية قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ثانيا: على الاخلاص فى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وهو ما شرعه الله لكل الأمم على اختلاف الأزمنة قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البينة: ٥].

ومما لا شك فيه أن الصلاة شعيرة مهمة لتصفية النفس الانسانية ووصلها بالسما، وأن الزكاة فريضة لدعم التكافل الاجتماعى وإقرار الأخوة العامة بين البشر.

ثالثا: حراسة الفضيلة وإشاعتها، وكره الرذيلة ومحو جرائمها وهذه هى حقيقة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر التى شاعت فى كل دين، وكلف بها جمهور المؤمنين.

وقد خصم عيسى عليه السلام اليهود وندد بهم لانهم - كما عبر القرآن ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مَنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٩].

رابعا: معاملة البشر كافة بضمير رحيم وخلق فاضل. وقد ندد القرآن الكريم بأن بعض المتدينين لا يبالي بإساءة من ليسوا على دينه. واستباحة حقهم فقال ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَأَ

يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ
وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَّقِينَ ﴿ [آل عمران: ٧٥، ٧٦].

خامسا: إشاعة العدالة والرحمة والسلام فى الأرض، وهذه تعاليم شاعت
فى الكتب السماوية كلها، وينبغى أن تنسق جهود المؤمنين لنشرها ودعمها قال
تعالى مبينا السر فى بعثة محمد ﷺ: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
الَّذِي اختلفوا فيه وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٦٤] وقال: ﴿ مَا يُقَالُ
لَكَ إِلَّا مَا قَدِ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾

[فصلت: ٤٣]

ومن الحمق الزعم بان الأديان نسخ متعددة من كتاب واحد، وأنا نبغى
بهذا الاستعراض نفى ما بينها من فروق أو جمع أتباعها على وحدة فكرية
ومذهبية مطلقة.

إن ذلك مستحيل بدهاءة، ولكننا نشد إبراز العوامل المشتركة التى تقارب
ولا تباعد، وترجح السلام على الخصام والألفة على الوحشة، وتفسح مجالا
للتعاون على البر والتقوى.

إنه مع ضيق الخلق، وفساد الطوية وتفاهة التفكير – يمكن أن يتقاتل أبناء
الدين الواحد، وتتشعب بهم عشرات السبل فلا يلتقون أبدا.

ومع سعة الخلق، وشرف النفس، وسلامة الرأى، يمكن أن يتعاون أشباع
رسالات مختلفة، ويقدمون للانسانية خيرا كثيرا، مع بقاء كل طرف منهم
مستمسكا بدينه حريصا على تعاليمه.

وأحب أن ألفت النظر الى نوع مذكور من التلاقى الواقع فى بعض
المجتمعات!

هناك تلاق بين أناس ينتسبون بالاسم فقط إلى عقائدهم، فتراهم منحلين
عن أديانهم موضوعا وإن انتموا إليها شكلا، وما جمعتهم إلا الشهوات والمآرب
الدنيا.

هذا التجمع لا يدل على سماحة، ولا يصح الاستشهاد به على انتهاء
التعصب الديني!!

إنه إشارة انحلال ديني عام، وليس إشارة تعاون مشكور.
الذي أبغيه أن يوفى كل ذي دين بحقوق دينه، فلا ينسى ربه ولا لقاءه ولا
الرحمة بعباده، وينظر الى مخالفيه نظرة لا حقد فيها ولا تبرم ولا حيف ولا
جفاء!! بل نظرة تقوم على البر والعدالة والاحسان.

وعندى أنه مما يعين على ذلك في الظروف العالمية القائمة أن يجتمع مؤتمر
مسكوني مسيحي آخر، فيعطف على عرب فلسطين في محنتهم، ويمحو أثر
المؤتمر المسكوني السابق الذي أبدى عاطفة مستغربة نحو اليهود في فترة
يهجمون فيها على بلادنا ويزعمون أنهم أولى بها منا، ويريدون بناء وطن لهم
على أنقاضنا.

إن ذلك - لو تم - سيكون بداية إغلاق الطريق أمام المادية الزاحفة على كل
شيء، المستهينة بكل قيمة، المحترقة لرسالات السماء على سواء.
أما إذا بقى الاستعمار يجزر وراءه أحقاد العصور الخالية، ويجرئ اليهود
على احتلال أرضنا واغتصاب حقنا، فإن النار التي أشعلها ستحرقه قبل غيره،
وسيندم حين لا مكان لندم.

إنى ياسم الاسلام أعرض سلاما شريفا فهل يقبل هذا العرض أم يرفض؟
وأعزف أننا في فترة من تاريخنا لا نحسد عليها.
ولكننا بعون الله سوف نجتازها، وسوف نحاسب من اعان على قتلنا، ومن
تركنا نحفظ بحق الحياة.

إننا لا نطلب من مؤتمر مسكوني جديد أن يسدى إلينا يدا، بل أن يكف
عنا الأذى، ويمنع عدوان أتباع حاقدين.

أما الإيعاز الى بعض الطوائف الجاحدة أن تعرقل الكفاح العربي وأن
تضرب المكافحة الفلسطينية فتلك قبيحة ينمو مع الزمن عارها ولن تنسى
لأصحابها.

فهل نجد سميعا لهذا النداء؟؟

* * *